الاسلوب الامثل للتعامل مع مركز مدينة النجف القديمة

ميساء ازيارة محمد - مدرس مساعد

احسان صباح هادي –مدرس مساعد

قسم الهندسة المعمارية -كلية الهندسة -جامعة بغداد

المعهد العالي للتخطيطي الحضري والاقليمي–جامعة بغداد

الخلاصة :

تعانى المدن التاريخية في العالم العربي والإسلامي (ومنها مدن المراقد المقدسة في العراق) من مشاكل عديدة ومتنوعة ولعل أبرزها يبدو جلياً في بنيتها الوظيفية الأصلية. فلقد تحولت من مكان أساسي للسكن بالإضافة إلى المتطلبات الخدمية لبضع آلاف من السكان إلى مركز أو جزء من المركز الرئيسي لمدينة كبيرة يزيد عدد سكانها عن المليون. ولقد بدأت البنية الوظيفية للمدينة القديمة في التغيير مع بداية القرن العشرين وتسارع معدل التغيير في النصف الثاني من القرن الماضي. يهدف البحث الى تحليل المشاكل التي تعاني منها المراكز التاريخية للمدن المقدسة وتحليل أساليب التعامل مع هذه المشاكل، وصولا إلى تمييز أسلوب من الممكن ان يكون اساس للتعامل العملي وفق متطلبات العصر الحالي ومقتضيات واقع الحال الذي فرضته التغييرات والتدخلات العمرانية مع محاولة انقاذ ما يمكن انقاذه من نسيج وبنية هذه المراكز.

اعتمد البحث المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تحليل واقع الحال والاطلاع على الدراسات السابقة للموضوع والأدبيات المتعلقة بمواضيع الحفاظ والتعامل مع المناطق التاريخية والتراثية.وقد تم هيكلة البحث وحسب مقتضيات الموضوع إلى مدخل نظري يمثل الإطار المفاهيمي للموضوع فيما تابع الجزء الاخر تحليل واقع الحال لمنطقة الدراسة (المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف)وفق رؤية نقدية وصولا إلى الاستنتاجات العلمية والعملية وفق رؤية تخطيطية –تصميمية حديثة للتعامل مع المناطق القديمة بصورة عامة والمناطق المقدسة بصورة خاصة .

مقدمة:

تعانى المدن التاريخية في العالم العربي والإسلامي (ومنها مدن المراقد المقدسة في العراق) من مشاكل عديدة ومتنوعة ولعل أبرزها يبدو جلياً في بنيتها الوظيفية الأصلية. فلقد تحولت من مكان أساسي للسكن بالإضافة إلى المتطلبات الخدمية لبضع آلاف من السكان إلى مركز أو جزء من المركز الرئيسي لمدينة كبيرة يزيد عدد سكانها عن المليون. ولقد بدأت البنية الوظيفية للمدينة القديمة في التغيير مع بداية القرن العشرين وتسارع معدل التغيير في النصف الثاني من القرن الماضي. وظهرت آثار هذا التحول وذاك التغيير مع النمو التجاري السريع الذي بدأت معه منطقة الأسواق تنمو وتتوسع لتحتل مكان الوظيفة السكنية في الأحياء المحيطة بمنطقة المراقد المقدسة.إلى أن هبت رياح التغيير التي بدت إيجابية تحت شعارات التطوير والتحديث. وتعرضت المراكز التاريخية للمدن المقدسة إلى فوضى عمرانية بسبب غياب القوانين العمرانية بالمدينة القديمة ، مما أفسح المجال للقطاعين العام والخاص للقيام باجتهادات فردية في مجالات الهدم وإعادة البناء أو في مجال الترميم والتحديث أو حتى في مجال

إعادة التوظيف لمباني المدينة القديمة. وهدفت تلك التدخلات الغير مدروسة إلى تحقيق الربح المادي حتى ولو كانت النتيجة هي الإساءة والتشويه إلى التراث العمراني للمدن المقدسة الذي يجب الحفاظ عليها وتطويرها.

1-مفهوم المركز التاريخي للمدينة :

إن أمر حماية المواقع التاريخية ، على الصعيد الفردي ، قديم جداً ، أما على الصعيد الشعبي والرسمي فقد برز منذ أوائل القرن التاسع عشر.ومنذ النصف الثاني من القرن 19 برزت أهمية المدينة القديمة ، بمجموعها وليس فقط بمعالمها الهامة ، وأصبحت تشكل بأبنيتها التاريخية مع المناطق التي تحيط بها ؛ الجزء الأكثر قيمة من الثروة الثقافية للأمة . (1)يتبادر إلى الأذهان سؤال يوجه إلى كل من يشكك بقيمتها ، كيف نقدرها ضمن التبدلات الحالية؟! وحتى أمام القيم الجديدة التي ظهرت في المجتمعات المعاصرة.وحسب رأي البرفسور الأستاذ هروشكا من تشيكوسلوفاكيا (فإن القيم الجديدة لا يمكنها أن "تنضج" في فراغ ثقافي ، بل على العكس ، تنمو وتستمر مع القيم الثقافية الموجودة وفي خضم التقاليد ، والأشكال التي ما زالت حية ، تزدهر) (1) .

المدينة العربية الاسلامية التقليدية هي تعبير صحيح عن الثقافة العربية الاسلامية والتي نظمت حول الجامع الكبير ؛ وهذا الأخير(بالإضافة إلى شبكة الأسواق) هو نقطة مركزية لنشاط الحياة الديناميكية للمدينة .وهذا مانراه واضحا في مدينة النجف القديمة اذ ان المرقد الشريف (بالاضافة الى شبكة الاسواق المحيطة به ومنها السوق الكبير) هو النقطة المركزية لنشاط الحياة الديناميكية للمدينة .وبذلك يربط كل الوظائف بعضها ببعض من دينية، وإدارية ، وحرفية ، وتجارية ويؤمن فراغات عامة . ومع هذا الربط نجد انفصالاً واضحاً بين الوظائف العامة والخاصة ؛ كما أن المركز محاط بمنطقة سكنية .

وبصورة أوضح فإن المركز التاريخي لمدينة ما (ومنها مدينة النجف القديمة)؛ هو مجموعة من الأبنية تشكل موقعاً، نسيجها العمراني كامل أو شبه كامل ؛ و يُشترط أن يكون هذا المركز ما يزال ينبض بالحياة. والواقع كثيراً من المدن القديمة ، ومراكزها لا يزال قائماً ويمثل تاريخاً متصل الحلقات ويعبر عن حركة مستمرة في النمو والتطور .

2-الموقف من المراكز التاريخية للمدن:

بالرغم من المجال الواسع والمتنوع لسياسات التعامل مع التراث العمراني إلاّ أنه يمكن تأطيرها من خلال التعرف على مرتكزاتها الفكرية، والتي تتحدد في اتجاهات ثلاث :

الاتجاه الأول : ينظر إلى المدينة القديمة بنوع من الصنمية والتقديس، ويدعو للمحافظة على معالمها الأثرية باعتبارها شواهد على حضارة كانت، ويرفض أي تغيير أو تحديث ولو في أضيق الحدود .

الاتجاه الثاني : يتبنى نزعة التطور والتقدم، ويرى أن المدينة القديمة هي جزء من المدينة المعاصرة ككل، وبالتالي لابدّ أن تطالها آثار هذا التطور، ولذلك يجب إفساح المجال أمام تطبيق المخططات التنظيمية عليها

لدمجها في المجال العمراني والاجتماعي الحديث، حيث إنها جزء من الماضي لم يعد يؤدي دوره الوظيفي في ضوء التطورات الحالية، بل إنه أيضاً يُشكل حجر عثرة أمام التطورات الاقتصادية والاجتماعية .

الاتجاه الثالث : ينظر إلى المدينة القديمة باعتبارها كياناً حياً، وإرثاً ثقافياً متميزاً يجب المحافظة عليه، إنما أيضاً عدم إغفال ضرورة تلاؤمه مع التطورات الحالية، الأمر الذي يستدعي التعامل مع هذا الكيان، بكافة أبعاده العمرانية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية، بكثير من الشفافية، باعتباره موجود موضوعياً، وهو العنصر المؤشر الأهم على التمايز الحضاري والثقافي بين الشعوب .

وعليه فلابدّ من تنمية مكوناته، والنظر إلى مشاكله بشمولية، ووضع الخطط والاستراتيجيات التي تكفل تطوره عبر مراعاة مجموعة العلاقات المتعددة والمكونات الحضارية المتنوعة، والتي يساهم في نهاية الأمر في إبرازه والمحافظة عليه نابضاً بالحياة .

4–السياسات الشاملة للتعامل مع المراكز التاريخية للمدن:

وهنا لابدّ من التنويه إلى ارتباط الاتجاهات الثلاثة المذكورة، بتطور النظرة إلى التراث بشكل خاص وفكر التنمية بشكل عام، وقد جسدت مفاهيمها ومرتكزاتها النظرية في الواقع عبر سياسات يمكن حصرها بما يلي :

أ – سياسة الترميم، سياسة الحماية، سياسة الحفاظ وتعكس القيمة الرمزية والمعنوية للمدينة القديمة .

ب – سياسة الإزالة والإحلال، سياسة التجديد الحضري، سياسة إعادة البناء والتعمير، وتعكس هذه السياسات القيمة النفعية للمدينة القديمة .

ج– سياسة إعادة التأهيل والارتقاء، وتعكس القيمتين النفعية والمعنوية للمدينة القديمة .

تتعامل السياسة الأولى مع المدينة القديمة على أنها تراث ثقافي يُمثل عمراناً مرتبطاً بزمن محدد، بينما تتعامل الثانية معها على أنها جزء من نسيج المدينة الحديث وثقافتها المعاصرة، وتشتركان في أنهما تعكسان البعد الثابت للزمن، سواءً كان الماضي أو الحاضر، وأيضاً في النظر إلى المدينة القديمة على أنها كيان مادي فقط، فالأولى تجمدها وتحيلها متحفاً وشاهداً على أحداث مضت، والثانية تكتسحها بدعوى مجاراة التطور والتقدم .

أما السياسة الثالثة فتتعامل مع المدينة القديمة باعتبارها جزءاً من الماضي والحاضر والمستقبل، فهي بهذا المعنى تعكس البعد المتغير للزمن، والمتمثل في النظر إليها كإرث ثقافي، إنما أيضاً لاتغفل أهمية العمل على تلاؤم مكوناتها مع المستجدات والتطورات الحالية (1) .

لقد أثبتت التجارب العديدة في مسألة الحفاظ على التراث العمراني، أنه لا يمكن الاكتفاء فقط بالمحافظة على مجموعة من المباني والأوابد الأثرية، بل أيضاً يجب أن تتعداها إلى ضرورة الارتقاء بالبنية الهيكلية للمدينة القديمة ككل، كذلك لا يمكن الاكتفاء بحل مشكلة بعينها، بل أيضاً لابدّ من النظر إليها من خلال انعكاساتها وتأثيراتها المتبادلة مع المشاكل الأخرى التي تعاني منها المدينة

القديمة، فجدوى عمليات الحفاظ على التراث العمراني لا يمكن أن يكون مقتصراً على ترميم هنا وشق شارع هناك، بل في إحداث تغير إيجابي في تناول الموضوع، ضمن إطار عملية تنطوي على إعادة التأهيل والإحياء، وتخطي الرؤية المحدودة في تناول الأبنية والفراغات العمرانية بمعزل عن محيطها العمراني والاجتماعي .وعليه يمكن ادماج الاساليب السابقة للتعامل مع المناطق المختلفة بالمنطقة التاريخية وذلك للاستفادة من مميزات كل اسلوب وتجنب السلبيات للوصول بالمنطقة الى صورة تحترم وتتوافق مع المتطلبات للسكان.

5-أهمية مفهوم الإحياء وإعادة التوظيف لمركز المدينة العربية التقليدي :

إن عملية إعادة الانتفاع الصحيح يصعب أن تكلل بالنجاح مالم تقترن بإعادة توظيف المبانى التراثية المحافظ عليها بوظائف معاصرة تنسجم ومتطلبات المدينة المعاصرة وتتناغم وتتفاعل مع الطاقات الكامنة فى المبنى والمنطقة التاريخية نفسها. وإعادة التوظيف هذه تعنى إعادة المنشأ الى حالة من الاستخدام من خلال الصيانة والتغييرات التى تمكن من توفير استخدام حديث ومعاصر للمبنى وفى نفس الوقت الحفاظ والإبقاء على تلك العناصر والمكونات التى تمتلك أهمية وقيمة تاريخية ومعمارية وحضارية (2). وإعادة الانتفاع الصحيح بمراكز المدن التقليدية يتجلى دورها فى تحقيق عدة أهداف من اهمها:

- الأبعاد المعنوية والمتمثلة فى الحفاظ على المشاهد التاريخية التى لا يمكن إستبدالها.
- الأبعاد الثقافية من حيث أن تعظيم الإستفادة من الموروث التاريخى وتطويع إستخدامه حاضراً ومستقبلاً يساهم فى إنعاش المجتمعات العمرانية فكرًا وثقافةً وفنًا.
- الأبعاد البيئية والتى تتجسد فى تحسين البيئة المادية للمناطق والمبانى القديمة حيث أن إعادة الإنتفاع الصحيح بها تساهم بشكل جوهرى فى تحسين بيئتها المادية.
- الأبعاد الاقتصادية والتى تتمثل فى تحقيق منفعة إقتصادية من إعادة الإنتفاع الصحيح وحماية الموارد من الهدر والتردى.
- الأبعاد الاجتماعية حيث أن الإنتفاع الصحيح بالمناطق التقليدية بمركز المدينة العربية مع الحفاظ على طابعها وشخصيتها التاريخية يحفظ للمدينة العربية تراثها وذاكرتها وكذا ذاكرة شعوبها من الذوبان فى عصر تضمحل فيه الموروثات الثقافية على المستوى العالمى وتضيع الهوية وتتطلى شخصية المدن والسكان بلون وشكل النظام العالمى الجديد الذى لا يرى إلا لونه وشكله مع أن التعدد والتنوع والاختلاف سنة ماضية وميزة بديعة فى آفاق الكون الرحيب منذ بدء الخليقة حتى يرث الله الارض ومن عليها.
- الأبعاد السياحية والتى تساعد على إستقطاب وجذب السياح من أركان الارض المختلفة للتعرف على ثقافة وفكر وموروث حضارى مختلف ومتميز يتعارف من خلاله الناس.(2)

7-مشكلة التدخل العمراني في المراكز التاريخية للمدن المقدسة:

لقد تعرضت الفضاءات المحيطة بالمراقد المقدسة الى ممارسات تخطيطية احدثت تغييرات جوهرية في تكوينها الحضري تمثلت في ازالة المناطق المحيطة بالمراقد (التي تمثل مركز التكوين) وعزلهاعن محيطها الحضري بما يتناقض والمبدأ الذي صممت على أساسه. بالأضافة الى ما سببته هذه الممارسات من خسارة فادحة للنسيج التراثي وخصائصه الحضرية والعديد من الأبنيه ذات القيم التاريخية، فأنها خلقت مشاكل جديدة تمثلت في توليد جذب المزيد من حركة السيارات حول المراقد، فأحدثت تلوثاً بصرياً يتنافى مع المكانة الدينية والروحية لهذه المراقد. كما ان خلق الفضاءات المفتوحة حوله ادى الى ازالة اهم سمات هذه المراكز وهي هيمنة فضاء الصحن على التكوين الفضائي العام للمدينة وغياب عنصر المفاجئة عند الأنتقال من الأزقة الضيقة ذات الواجهات الخارجية البسيطة الى فضاء الصحن المفتوح الغني بالمعالجانت المعمارية والزخرفية والذي يحقق الشعور بالأنفتاح والأستقرار والأمان والخشوع. ولم يقتصر الضرر على ذلك فحسب، إذ إن واجهات اسوار المرقد الى الخارج دعا الى التعامل معها كأبنيه نصبية وهو اقتباس للمفهوم الغربي، مما استدعا الى المزيد من الهدم وخلق فضاءات مفتوحة واسعة لأستيعاب الواجهات الجديدة بشكل أوضح، ان أزالة المناطق المحيطة بالمراقد المقدسة تعتبر خسارة كبيرة للموقع الروحي والأطار الحضري للمراقد نفسها، والذي أرتبط بها عبر قرون. كما ان عزل هذه المراقد عن أطارها الحضري المتميز وجعلها شواخص منفردة في الفضاء يمكن رؤيتها من جميع الجهات أفقدها خصائصها التقليدية والمبادئ الأساسية التي صممت لها أصلاً.(3)

8-مدينة النجف المقدسة نموذج للمراكز التاريخية العربية التقليدية :

إن مدينة النجف القديمة تعتبر نموذج واضح للمدينة العربية الإسلامية إذ إنها تحوي خصائص تشكيل البيئة الحضرية للمدينة العربية الإسلامية. إلا أنها أيضا تنفرد بميزات خاصة تعبر عن خصوصية المكان ونتاج طبيعي لتفاعل عوامل عديدة (عوامل البيئة الثقافية، وعوامل البيئة الطبيعية) التي لا زالت معظمها قائمة ومؤثرة لحد الآن، منها:-

- وجود المرقد الشريف بقبته الذهبية والذي يجب أن يكون محور كل عملية تطويرية لان المدينة نشأت حوله.
- مقبرة وادي السلام ذات المساحة الواسعة والتي يؤمها أعداد كبيرة من الزائرين
- السراديب وهي خصوصية أفرزتها طبيعة الأرض لمدينة النجف.
- الدفن داخل الدور السكنية الأمر الذي يظهر من وجود القباب الخضراء والزرقاء ضمن النسيج السكني.
- المؤسسات العلمية والدينية متمثلة بالحوزات العلمية والمكتبات (4).

9-موقع المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف

تعتبر المدينة القديمة المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف ،منذ القرن العاشر الميلادي، وظهور بناء المرقد الشريف للإمام علي عليه السلام .وتغطي المدينة القديمة

مساحة 60 هكتارا تقريبا ،وعلى شكل بيضوي غير منتظم يبلغ قطره طوليا تقريبا 1000 متر فيما يبلغ قطره عرضيا حوالي 800 مترا .وتعرف حدود المدينة القديمة بشارع السور الذي تم شقه في الثلاثينات من القرن الماضي، على خط مسار سور المدينة القديم الذي تم هدمه.

تقع المدينة القديمة على الحافة الجنوبية الغربية لمدينة النجف،على حافة المتن المرتفع المطل على بحر النجف ، الذي يحدد امتداد ونطاق البناء في اتجاه الغرب من المدينة .(الشكل 1) وتقع مقبرة وادي السلام مباشرة الى الشمال منها ، حيث تغطي المقبرة حوالي 500 هكتار وتعتبر واحدة من اكبر المقابر الاسلامية .اما ناحية الجنوب والجنوب الشرقي فتنتشر المباني التجارية والسكنية على نمط الشبكة المنتظم(5).

شكل - موقع المدينة التاريخية نسبة لمدينة النجف الكبرى
المصدر : الباحث بالأستناد الى مديرية التخطيط العمراني ومكتب المصمم المعماري – اكتوبر 2008

الشكل (1) موقع المدينة التاريخية نسبة لمدينة النجف الحديثة ،مديرية التخطيط العمراني ،2008

10-التطورات الحديثة للمدينة القديمة :

حتى العشرينات من القرن الماضي، كانت أسوار المدينة تحيط وتحتوي المدينة بأكملها، وتعمل كتابع لمدينة الكوفة الواقعة على نهر الفرات. وفي أواخر الثلاثينات ظهرت أول التغييرات على المدينة القديمة، حينما تم شق شارع السور (المحيط) على مسار سور المدينة القديمة.وتم تقسيم المدينة القديمة الى أربعة احياء في فترة الخمسينات وذلك عبر شق طرق رئيسة بعرض يصل حتى 20 مترا لكل منها لتربط منطقة المرقد الشريف بشارع السور قاطعة أزقة وممرات المدينة المعروفة بطابعها التقليدي والتاريخي (شكل 2)،وسميت الاحياء الجديدة باحياء العمارة والمشراق والبراق والحويش(5).

الشكل-2- أحياء مدينة النجف القديمة،(5)مديرية التخطيط العمراني -2009

يتكون المحور الرابط بين شرق المدينة وغربها من شارعين متوازيين يفصل بينهما حوالي 130 مترا هما شارع الإمام زين العابدين (ع) وشارع الصادق ، اما المحور الذي يربط الشمال بالجنوب فيتكون من شارع واحد في الشمال هو شارع الطوسي وشارع الرسول (ص) في الجنوب ، ولا يسمح بسير المركبات في هذه الشوارع حاليا .ولقد تبنى المخطط الأساسي لمدينة النجف لدوكسيادس (1958) تصورا مفاده ان المدينة القديمة هي النهاية الغربية لمحور قوي يربط المدينة القديمة بمدينة الكوفة ،فيما تنتشر أعمال البناء والتوسع على جانبي هذا المحور وبعمق 2 كم(5).

11–وظائف المدينة القديمة :

يوضح (الشكل 3) صورة تبين استعمالات الأرض المختلفة في المدينة القديمة ، ويلقي الضوء على العلاقات المتشابكة بين خليط استعمالات الأرض (للأغراض الدينية والسكنية والتجارية والمؤسساتية) مع نموذج البناء التقليدي وهيكليته التي تأثرت بالتعديلات التي احدثتها أعمال شق الطرق في الخمسينات وكذلك أعمال الهدم والتنظيف لإعادة البناء.

الشكل (3) العلاقات المتشابكة بين خليط استعمالات

ويمكن تحديد خمسة وظائف رئيسة تقوم بها المدينة القديمة(4):

- مركز عالمي ومحلي لزوار المرقد الشريف للامام علي (ع).
- مركز محلي وإقليمي لاعمال الدفن وزوار وادي السلام .
- مركز الحوزات العملية –مراكز الدراسات الدينية .
- مركز تجارة التجزئة (المفرد) لمدينة النجف .
- احياء سكنية .

لقد كان ولا يزال المرقد الشريف للامام علي (ع) مبرر وجود النجف وهو مركز الجذب الرئيسي الذي يولد العديد من النشاطات الحضرية (الشكل 3). أصبح المرقد الشريف مركز الاهتمام العملي والبصري في المدينة القديمة منذ القرن العاشر الميلادي ويجذب الآن اعداد كبيرة من الزوار الذي يصل عددهم في المناسبات الدينية الخاصة ما بين مليون الى مليوني زائر .ولا شك ان لهذه الملايين العديد من المتطلبات التي تتركز حول محاور وطرق الوصول الى المرقد الشريف ،والامان والسلامة والسكن والبنى التحتية الملائمة والكافية. وتعمل السلطات المسؤولة باستمرار على تلبية هذه المتطلبات .ويزور المقبرة (وادي السلام)وهي الاكبر في العالم الاسلامي العديد منهم ولكن دون ان يتركزوا في اوقات او ايام معينة . ويعتبر زوار الإمام علي (ع)ومقبرة وادي السلام ، المعين الرئيسي للأعمال اليومية في قطاع الفندقة والمطاعم وتجارة التجزئة

،ولعل اعداد الزائرين للمرقد الشريف والمقبرة في الأيام الاعتيادية والاعداد الهائلة منهم في المناسبات الخاصة يفسر سيطرة قطاع تجارة التجزئة والفنادق والمطاعم على ما نسبته 40% او اكثر من حجم قطاعات الاعمال في مدينة النجف الاشرف (5).

لقد حض التفكير والاهتمام الكبير بادارة هذه التدفقات الهائلة للزوار على القيام باعمال بناء كبيرة في وقت النظام السابق . حيث تم اخلاء وتنظيف المنطقة المحيطة بالمرقد الشريف بحدود 60 مترا تقريبا من كافة الجهات وخلق منطقة دوران وحركة خالية من المركبات حول المرقد الشريف يتم اليوم استخدامها للأغراض الأمنية وخدمة الزائرين.هذا بالإضافة الى اخلاء المنطقة التي يبلغ عرضها 130 مترا والواقعة على المحور الغربي بين امتداد شارعي زين العابدين والصادق ، ليقام عليها العديد من المباني التجارية وبالأخص الفنادق (مدينة الزائرين المزالة) ، حيث ولا يزال هنتك نقص دائم في الغرف الفندقية اللازمة لتلبية الطلب المتزايد باضطراد (5).ان المدى الذي تنتشر فيه الدور السكنية الرديئة وقطع الأراضي الفارغة والمهملة . وللأسباب أعلاه حسب الادعاء يبين الصعوبات التي تواجه المدينة القديمة في مواجهة المتطلبات الاقتصادية.ومهما يكن مغريا القيام باعمال الاخلاء الكبيرة من اجل البناء والتطوير فانه يجب مقاومة هذه الاعمال والحد منها . اذ ان استمرار عمليات البناء ،داخل المدينة القديمة فقط ،لتقديم الخدمات للزوار يضع شخصية وسلامة المدينة القديمة امام مخاطر حقيقية .ان بقاء القدر البسيط من النسيج الداخلي للمدينة القديمة ،المتمثل في مجموعة المساكن ومباني الاعمال واماكن التعليم ، يعتبر امر حاسم وفي غاية الاهمية لادامة شخصية المدينة القديمة العمرانية والتراثية وإضافة للقيمة التاريخية الكبيرة المتميزة لها .

ان تلبية حاجة الاعداد المتزايدة للزوار من المتطلبات التجارية ووسائل الراحة داخل المدينة القديمة فقط يعد امرا غير واقعيا و خصوصا اذا كان ذلك يمر عبر عملية الهدم ثم البناء لاحقا .فالنتيجة الحتمية لذلك (أي تلبية حاجات الزوار داخل المدينة القديمة فقط) ستكون تدمير الشخصية التاريخية المميزة للمدينة القديمة التي تعزز أهميتها الدينية ، والتي بسببها يأتي الزوار اصلا لزيارتها ، الأمر الذي سيضعف من أهمية الزيارة كممارسة روحية أيضا.

تأتي الضغوطات على المدينة القديمة من حركة مرور المشاة والمركبات ،وكذلك من الفعاليات التجارية التي تتطلع للاستفادة من الزوار .وسيبدو التعامل مع هذه الضغوطات في الاحياء الجديدة لمدينة النجف (أي خارج المدينة القديمة)امرا مفهوما وفي غاية الحكمة.عليه فان إستراتيجية تخطيط المدينة القديمة يجب ان تتبنى خطة حساسة ودقيقة تعتمد على أهمية بناء الاحتياطات والاستعدادات اللازمة لاستقبال اكبر عدد من الزائرين خارج المدينة القديمة ،لكي نتأكد من الابقاء على الصفات الجوهرية التي تعطي هذه المدينة منزلتها وأهميتها الرفيعة كمركز عالمي للزيارة .

وبالرغم من تقسيم المدينة القديمة في وقت ليس ببعيد الى أربعة احياء ومحور مركزي في القلب منه المرقد الشريف.فلقد بقي من الأمثلة الشاخصة من نمط البناء

التقليدي لتصون كمال المدينة القديمة وتفردها وليمكنها من ان تصبح كيان واحد متميز ،ويمثل نموذج الطرق (الشوارع)الخاص بالمدينة القديمة علامة تميزها عن المدن الحديثة وأنظمة الطرق الخاصة بها .

12-الشخصية الحضرية :

تمتاز المدينة القديمة بوجود أربعة مناطق في محيطها تمتلك كل منها شخصية متميزة مختلفة وهي:

- الاحياء السكنية الاربعة .
- المنطقة المركزية التي تحتوي المرقد الشريف للامام علي (ع).
- طرق الوصول الغربي الى المرقد الشريف ويشمل مدينة الزائرين والحافة الشمالية من منطقة الحويش.
- طريق الوصول الشرقي الى المرقد الشريف الذي يشكله السوق الكبير(5).

12-1 الأحياء السكنية:

تتميز الاحياء الاربعة للمدينة القديمة بميزتين اساسيتين تمنحانها شخصية خاصة تختلف عن احياء المدن الحديثة وهما :

شبكة الطرق وممرات المشاة التي تنتشر وفق نسق غير منتظم وتوزيع لقطع الأراضي وبشكل غير منتظم هو الاخر.

وتمثل هذه الاحياء النموذج التقليدي العربي للمستوطنات ،الذي تطور عبر مئات السنين والذي يعكس النموذج التقليدي للنشاطات والحركة .

ويتم اللجوء الى دمج قطع الأراضي الواقعة على المحيط من اجل الحصول على قطع اراضي كبيرة نسبيا وتكون ملائمة لاقامة المشاريع التجارية الكبيرة عليها .(الشكل 4)

الشكل -4- الشخصية الحضرية

12-2المرقد الشريف للإمام علي (ع): يقع المرقد الشريف للامام علي (ع) في قلب المدينة القديمة ،وشكل مركزا للنشاطات فيها لقرون عديدة (الشكل 6).وتهيمن قبته الذهبية على المشهد البصري ،وتشكل علامة بارزة ومميزة تتجه اليها كافة ممرات المشاة والطرق في المدينة القديمة ،كما ان موقع المرقد الشريف على حافة المرتفع الذي تقع عليه المدينة القديمة ،يتيح مشاهدة القبة الذهبية من مسافات بعيدة جدا .الشكل 6

تقع مباني المرقد الشريف وسط نطاق مربع مبلط ويغطي مساحة تزيد على 4 هكتار (مباني المرقد والنطاق المحيط به).وكان هذا النطاق قد تشكل بعد إزالة وتنظيف اجزاء من النسيج العمراني القديم المحيط بالمرقد الشريف .ويحيط به السياج الامني الذي تنتشر خلفه الواجهات التجارية

وبعض المواقع الدينية الثانوية .وقد برز مبنى جديد في مكان اقامة الشهيد الصدر الثاني ،على الزاوية الشمالية الغربية لحي البراق الذي تم هدمه كجزء من عمليات اخلاء محيط المرقد الشريف(4) .

ولكن الفضاء المحيط بالمرقد الشريف أصبح يعاني من تكاثر العديد من المباني مثل مواقع الحراسات الامنية ،والمرافق الصحية العامة ومواقع الوضوء ،ومواقع مياه الشرب ،وهياكل مضلات للزائرين .وامتلائه بالمباني الرديئة التصميم وبالضد مما يهدف اليه وجود المكان وهو المساعدة على استيعاب الاعداد الكبيرة والمتزايدة للزائرين وتزويد المدينة القديمة بالساحة الوحيدة المفتوحة لها(4).(الشكل 5)

الشكل –5– هيمنة المرقد بقبته الذهبية على المشهد الحضري

12–3 السوق الكبير :

يقع السوق الكبير الى الشرق من المرقد الشريف للامام علي (ع).وهو يشكل جزءا من المدينة القديمة ،ويتميز بحدوده المتمثلة بشارعي زين العابدين والصادق الذين تم شقهما في الخمسينات من القرن الماضي ،وهو سوق تاريخي يحوي العديد من الوحدات التجارية والأسواق الصغيرة مثل سوق الصاغة ،وسوق الصفافير ،وسوق المسابح ، وسوق العبايجية ،وسوق العطور وسوق الصرافة.شبكة ممرات المشاة الأصلية التي يمكن فيها ملاحظة العديد من خطوط المسالك الأثيرة والمحبذة لدى المشاة اللذين يسلكونها للوصول الى بغيتهم من المناطق في الشمال والجنوب.اما شارع التسوق الرئيسي المركزي فهو عبارة ممشى مغطى ويمثل سوقا نموذجيا في هذه المناطق خال من حركة المركبات ومع واجهات ملونة وحركة نشطة على الجانبين .اما الشارعين (زين العابدين والصادق)فانهما يوفران المدخل لمركبات الخدمات ونقل البضائع.ويلتقي الشارعان في النهاية الشرقية للسوق الكبير في ساحة مبلطة تخلو من اية تصاميم تزين صورتها الأمر الذي يخلق منها فرصة ممتازة لبناء بوابة دخول مميز لممر الدخول الرئيسي للمدينة القديمة .وبعد هذه المساحة تمتد الطرق باتجاه الاحياء الجديدة للمدينة.

فيما يدخل ويخرج حوالي 70% تقريبا من زوار المرقد الشريف عبر السوق الكبير.كما ان المظاهر العامة المنتشرة هنا تشبه تلك المنتشرة في المناطق السكنية(5).(الشكل 6)

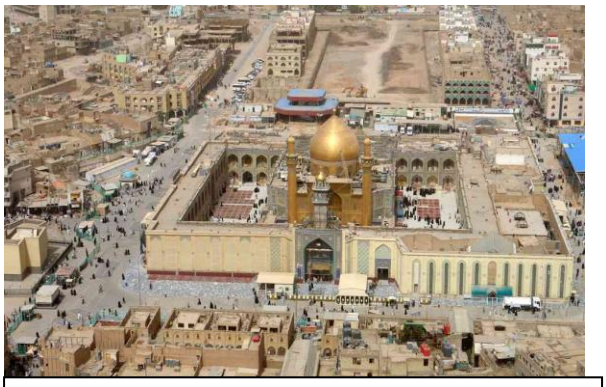

الشكل –6– محور السوق الكبير ومن الجهة المقابلة

12–4 مدينة الزائرين :

المدخل الغربي للمرقد الشريف يشمل مدينة الزائرين التي خضعت لمحاولات طموحة للتجديد الحضري في وقت النظام السابق، وتضمنت أعمال التجديد تلك، القيام بهدم أنماط البناء القديمة غير المنتظمة والسائدة آنذاك واستبدالها بأنماط بناء منتظمة وحديثة.وهناك تقارير تحدثت عن تدمير العديد من المواقع التاريخية والتراثية المهمة اثناء عمليات التجديد تلك(6).

واشتملت خطة التجديد على بناء صفوف من الفنادق ذات الثلاثة طوابق ،والتي بنيت على بعد متساوي بين الواحدة والاخرى كما انها ذات احجام ومساحات متشابهة ،على جانبي ساحة مفتوحة يبلغ عرضها 50 مترا ،وتشمل على مواقف سيارات تحت الأرض.وتمتد أعمال البناء على امتداد شارع الامام الصادق(ع) حتى القسم الشمالي في الحويش.(الشكل 7)

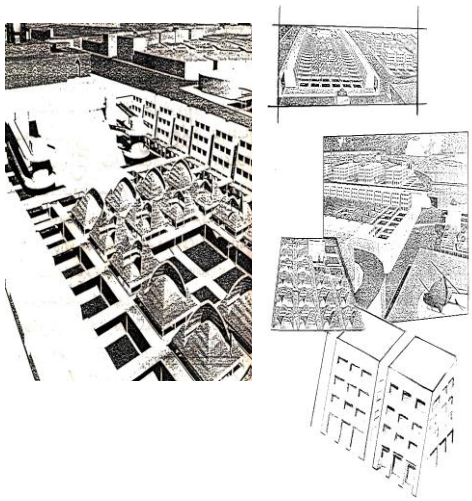

الشكل -7- تصميم لمدينة الزائرين والمقدم من قبل مكتب عدنان اسود في العام 1998 .(8)(المصدر ،مكتب عدنان اسود ،1998

ولكن هذه الفنادق بقيت غير مكتملة البناء،فبعضها لا يزال تحت الإنشاء ،اما البعض الاخر والذي اكتمل فقد بقي مشغولا بشكل جزئي .واليوم تم إزالة حتى الجزء المكتمل(4).

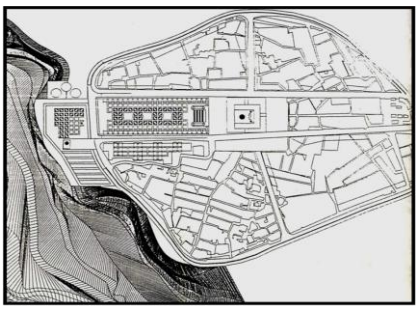

13–مواطن القوة ومواطن الضعف في الشخصية الحضرية :

13–1 مواطن القوة :

1–احد مواطن القوة الرئيسة للمدينة القديمة هو سلامة الجزء التاريخي والحضري فيها ،فبالرغم من أعمال التهديم الأخيرة وإعادة الأعمار وأعمال الطرق فان المدينة القديمة تشكل كيانا متميزا يتصف بسلسلة من الملامح التي تميزها عن مناطق التطوير الجديدة وهذه الملامح تشمل(6) :

- السيطرة البصرية والعمرانية لضريح الإمام علي (ع) على قلب المدينة القديمة .
- المخطط الشكلي للشوارع والأزقة الضيقة التي لا تتناسب مع منفذ المركبات.
- تفوق المباني المبنية من الطابوق ضمن الشكل التاريخي والحضري على المساحات ذات الاشكال غير المنتظمة .

- شارع السور يقع على خط السور الدفاعي السابق للمدينة .

2- الشكل 8 تحتوي على مجموعة مختارة من الصور للمدينة تبين الشكل الحضري الحالي والمعالم التقليدية التي تعتبر احد مواطن القوة .

3- ان السيطرة البصرية والعمرانية لضريح الامام علي (ع) تبقى لتؤكد على الدور الرئيسي للمدينة التي تحتضن احد اضرحة المسلمين المهمة في العالم ، هذا بالاضافة الى ان القبة الذهبية تعتبر محطا للانظار وان الروضة الحيدرية تعتبر محورا ومركزا للفعاليلت الدينية ،وبالنظر لكونها محطا للانظار ورمزا للثقافة الدينية والاسلامية فمن المهم جدا جعل هيمنة الضريح تسود على كافة مناطق اعادة التطوير في المدينة القديمة .

4- لقد تم تطوير الجزء المتبقي من الشكل الحضري والعمراني وفق الصفة الروحية والمقدسة لتاريخ المدينة القديمة ومناخها ،كما وتم حماية الجزء الاكبر من الشكل الحضري بالرغم من التصفية التي مارسها النظام السابق والنزاعات الاخيرة ،حيث تعتبر المباني التقليدية والشكل الحضري احدى مواطن القوة للمدينة للمدينة القديمة ،لذلك يجب اتخاذ الخطوات اللازمة لحمايتها وتحسين تلك المناطق التي تعتبر مهمة جدا من الناحية التاريخية والثقافية .

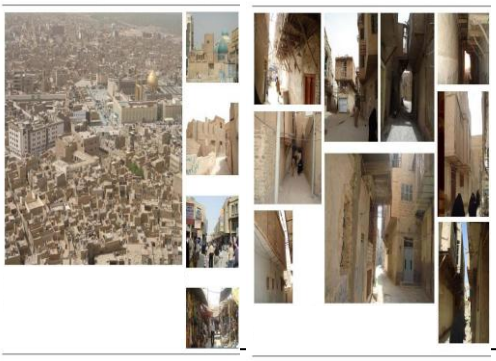

الشكل 8 مجموعة مختارة من الصور للمدينة تبين الشكل الحضري الحالي والمعالم التقليدية التي تعتبر احد مواطن

-2 مواطن الضعف:

1- كما نوقش أعلاه بان الشكل التاريخي والحضري للمدينة القديمة لا يزال سليما بشكل واسع ، ومع ذلك هناك أمثلة عديدة أصابها التآكل بسبب التطوير الحديث والتصفية والهدم غير المدروس فمثلا تم إهمال العديد من المباني التاريخية والدينية وغير الدينية ذات التصميم المعماري الرائع نتيجة للانهيار الذي أصاب البناء والمساحات من الأراضي المهجورة والخالية ولقد ساهمت قلة الاستثمار والأوضاع الاجتماعية والسياسية والنزاع الأخير جميعها في هذا الانهيار ،كما وان النسيج التاريخي وملكية الأرض المتجزئة مع مساحات الأرض وعدم وجود منفذ للمركبات أيضا تعني بأنه من الصعوبة بمكان تجديد وإعادة تطوير هذه المساحات لتكون بمستوى المعايير الحديثة .

2-الشكل 9، يبين المباني التاريخية التي اصابها الإهمال وهي الآن خرائب.

3- عند تجديد او إعادة تطوير مكان ما في المدينة القديمة نجد غالبا ما يتم إهمال الجانب التاريخي لها نتيجة للتطوير الحديث الذي يعتبر خارج نطاق الصفة التاريخية والبيئة المحيطة بها .الشكل 14يبين بالأرقام الجانب الحضري للمدينة القديمة،ويبين بوضوح جوانب من الاحياء التاريخية الجميلة والنطاق الواسع للتطوير الحديث.

4- هناك مقدارا متزايدا من التطوير الحديث الذي ينصب غالبيته على الفنادق الجديدة نتيجة لطلب الزوار في المناسبات الدينية ،ولسوء الحظ فان الغالبية العظمى من هذا التطور الحديث لا يعكس التصميم المعماري التقليدي

والعالمي او لا تستخدم فيه المواد المحلية ،وبدلا من ذلك يستعمل نموذج التصميم العالمي ،لذلك نجد بان اكثر المباني الحديثة اعلى بكثير من مناطق المحيطة بها والقليل من هذه المباني قد أخلت راث المدينة القديمة .

5-الشكل 10 يشير الى موقع المباني العالية بارتفاع سور مرقد الإمام علي بحيث حجبت رؤيا الضريح . الحديثة التي تبدو اعلى من مستوى ارتفاع الروضة الحيدرية .

6-من الضروري اتباع توجيهات التصميم للتاكيد على ان التطوير الجديد يلائم الارتفاعات المحيطة به ولا تؤثر على الهيمنة البصرية للروضة الحيدرية .

7-الشكل 11 يبين بعض الأمثلة على التطوير الحديث الذي لا يتماشى مع تراث المدينة القديمة .

8- لا تزال هناك ضغوطات على المدينة القديمة بسبب عدم وجود سكن للعدد الهائل من الزائرين ،لقد كانت عملية تحسين المنفذ هدف معظم الاشغال العامة في السنوات الخمسين الأخيرة،وكذلك احاطة المدينة القديمة وتقسيمها بواسطة سلسلة من الطرق التي تخترق النسيج الحضري القديم ،وكانت فقدان تماسك المدينة القديمة بسبب ذلك التقسيم العمراني الذي احدثته الطرق الجديدة .

9- تم إزالة قسم كبير من المدينة القديمة والذي يقع في الجهة الغربية من الروضة الحيدرية (مدينة الزائرين) لتطويره الى مجموعة من الفنادق التي لا زال البعض منها قيد الانجاز والباقي تعرض الى الدمار بسبب الاحداث .

10- بالرغم من ان الاجراءات الامنية التي تعني وضع قيود على منفذ المركبات ضمن المدينة القديمة ،يحتاج الساكنين الى منفذ للوصول الى دورهم السكنية ،هذا بالإضافة الى ذلك هناك ضغطا على المدينة القديمة بسبب مرور المركبات (في المناطق المسموح بها)والمشاة التي تشمل الزائرين ،لذلك تعتبر السيطرة على منفذ المركبات والخدمات وموقف السيارات من الأولويات الرئيسة في هذه العملية .

11- لقد أصبح الفضاء المحيط بالروضة الحيدرية غير منتظم بسبب ازدياد الحواجز الامنية والبوابات والأبنية والمرافق العامة ومرافق الوضوء ونقاط شرب الماء والمباني المسقفة الوقتية للزائرين ،وهناك خطر تحول هذا الفضاء الى إنشاءات ذات تصميم رديء ربما تكون مناسبة لسير المشاة ولكنها ستؤثر على منظر وعظمة ووضعية الروضة الحيدرية.

12- تعتبر نوعية الفضاء ضمن المدينة القديمة بصورة عامة رديئة بسبب استعمال المواد التي تفتقر الى التنسيق وبسبب الإعلانات والإنارة الرديئة ،كما ان مظهر ووظيفة ممرات المشاة تأثرت بصورة كبيرة بسبب فوضى الأسلاك الكهربائية الفوقية غيرا لمرئية والخطرة المربوطة بصورة

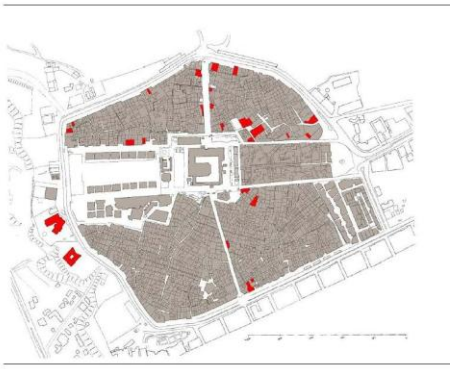

غير قانونية ،وكذلك بواسطة مكيفات الهواء البارزة نحو هذا الفضاء التي تخرج منها الحرارة والغازات ،ومثل هذه الحالات تؤثر عكسيا على ميزة وطبيعة المماشي وكما ان انعدام الصيانة والنقص في الاستثمار قد فاقمت هذه المشاكل .بالإضافة الى كل هذه الأمور نهاك استعمال قليل جدا للفضاء المفتوح ضمن المدينة القديمة .يوضح (الشكل 12) بعض الأمور الرئيسة التي تتعلق بالقطاع العام ضمن المدينة القديمة في الوقت الحاضر ،اما(الشكل 13) يوضح الأمور التي تتعلق بتوفير الخدمات ضمن المدينة القديمة.

(الشكل 10) موقع الابنية العالية مقارنة بسور المرقد. (5)

(الشكل 11) المباني الحديثة التي لا تتلائم مع السياق الحضرى للمدينة القديمة. (4)

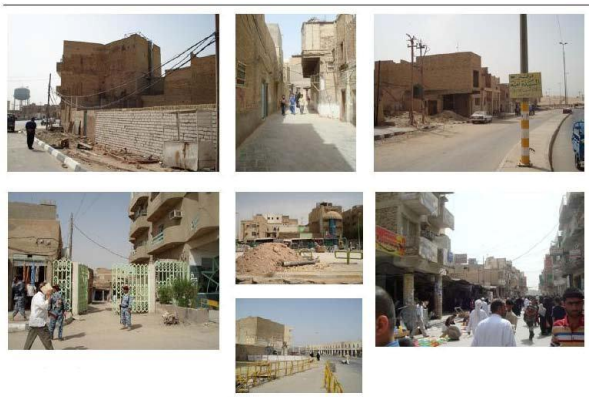

(الشكل 12)الفضاءات الحضرية المفتوحة في منطقة التطوير. (4)

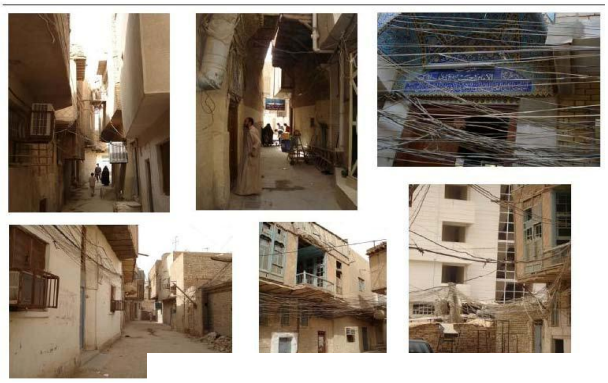

(الشكل 13)الخدمات الرديئة والخطرة في المنطقة القديمة. (4)

14- الخيارات الموضوعية لتطوير المدينة القديمة:

وفق مواطن القوة والضعف المذكورة أعلاه يظهر ان هناك خيارات موضوعية للتعامل مع مدينة النجف القديمة يجب اخذها كلها او ممكن اخذ اجزاء منها لغرض وضع تصور عمراني للمنطقة القديمة ،التي تقدمت بها الدراسة التي أعدتها مكاتب هندسية عراقية بالتعاون مع شركات أجنبية (لصالح دائرة التخطيط العمراني في وزار ة البلديات والأشغال العامة)، وهذه الخيارات هي(5) :

14-1 الخيار الأول:

التدخل الواطئ في المنطقة(يستند فقط على تطوير المواقع المتاحة الحالية) (الشكل 14)

14-2 الخيار الثاني:

التدخل العمراني المتوسط في المنطقة(والذي يخص اعادة تطوير السوق الكبير) . (الشكل 15)

14-3 الخيارالثالث:

التدخل العمراني العالي في المنطقة (الذي يخص الهدم على نطاق واسع وازالة العقارات والمباني في المدينة القديمة لضم التوسع الرئيسي للروضة الحيدرية). (الشكل 16)

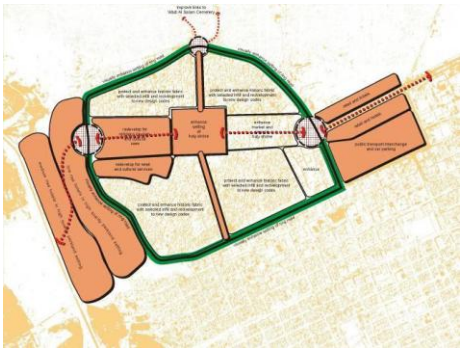

الشكل 14 الخيار الاول.(5)

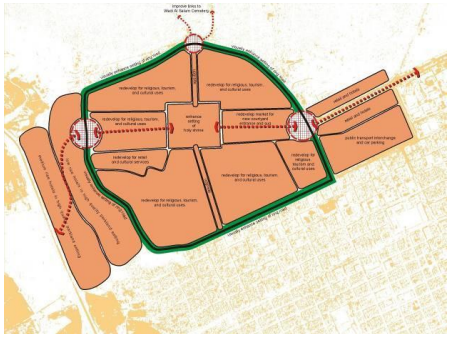

الشكل 15 الخيار الثاني.(5)

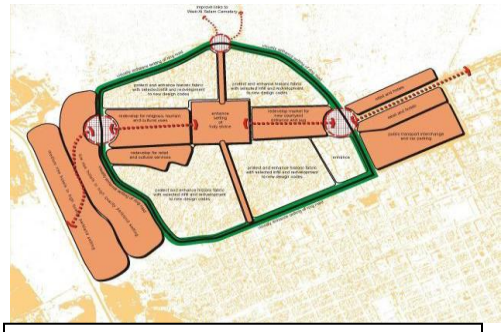

الشكل 16 الخيار الثالث.(5)

لقد تم اختيار الخيار 1 من قبل الشركة التي قدمت الدراسة لكونه الطريقة المفضلة وذلك لان التأثيرات على النسيج والمباني التاريخية ذات الأهمية في الخيار2 والخيار 3 كبيرة جدا ،لذلك يستند إطار العمل للمدينة القديمة والمبين في دراسة الشركة على الخيار 1 (كما موضح في الشكل 17).

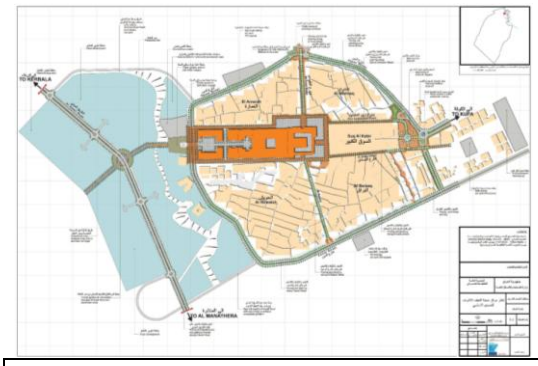

الشكل 17 مقترح اطار المدينة القديمة المقدم من قبل مكتب المصمم المعماري والشريك الاجنبي (شركة للوويلين ديفيز يانغ للاستشارات الهندسية)

وهذا الاختيار غير دقيق ومتناقض مع الأفكار التي طرحت من قبلهم حول التطوير وحل مشاكل المدينة القديمة.إذ ان التدخل الواطئ والمتوسط هو مخالف للواقع لان مشاكل المنطقة تحتاج الى حلول شاملة متكاملة على صعيد الخدمات الارتكازية والمجتمعية ومعالجة التهرؤ العمراني في النسيج القديم ،ومشاكل النقل وحركة السابلة ،وحركة الزوار .لكن هذا الخيار من ناحية المبادئ هو صحيح لكنه لم يطبق في التصميم بصورة كفوءة بل أدى الى أفكار وتصاميم معمارية مبالغ فيها ولم تأخذ بنظر الاعتبار التوجهات الحديثة في مجال سياسات التعامل مع المراكز التاريخية التي تطرقنا لها في المبحث الأول.هذا يتضح من خلال العرض التالي للمقترحات التصميمية المقدمة من قبل الشركة التي تم إحالة التصاميم لها .

15- مقترحات التطوير المقدمة :

قدمت شركة ديفيز يانغ والمصمم المعماري وبالتعاون مع جامعة بهشتي الايرانية مقترحان لتطوير المنطقة القديمة ،في المقترح الأول تم توسيع المرقد الشريف باتجاه بحر النجف بإضافة فعاليات وخدمات وصحن ضخم (الشكل 18) مع الإبقاء على السوق الكبير في الجهة الشرقية من المرقد الشريف حيث يكون المحور الرئيسي للدخول الى المرقد من جهة بحر النجف ويتم تصميم شبكة النقل والمقتربات بالتناسق مع هذه المحورية .طبعا بالإضافة الى محاور شارع الطوسي (مدخل مقبرة وادي السلام) ومحور شارع الرسول الأعظم (شارع القبلة). اما المقترح الثاني (الشكل 19)فتم توسعة المرقد الشريف باتجاه بحر النجف بإضافة مجموعة من الاصحن واعتباره المحور الأول من جهة بحر النجف ،مع خلق محور قوي جدا من جهة ساحة الإمام علي (ع) وذلك بإزالة السوق الكبير وتحويله الى سوقين على الجانبين وفي الوسط صحن مغلق من ثلاث جهات ومفتوح على ساحة الإمام علي .اي ان هناك محورين رئيسين للدخول من الجهة الشرقية والجهة الغربية .(6)

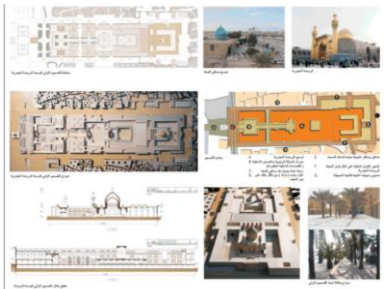

الشكل 18 المقترح الاول لتطوير وتوسعة المرقد العلوي الشريف والذي اعدته شركة ديفز يانغ والمصمم المعماري بالتعاون مع جامعة بهشتي (موديل مع منظر داخلي).(6)(المصدر :منشورات جامعة بهشتي 2009)

الشكل 19 المقترح الثاني لتطوير وتوسعة المرقد العلوي الشريف والذي اعدته شركة ديفز يانغ والمصمم المعماري بالتعاون مع جامعة بهشتي (منظور جوي).(6)(المصدر :منشورات جامعة بهشتي 2009)

اعتمدت هذه المقترحات على الخيار الأول والذي اعتبر اكثر موضوعية وواقعية من وجهة نظرهم لانه يقوم بتطوير المنطقة حول المرقد الشريف والمناطق الخالية حاليا في جهة مدينة الزائرين .

يحوي كلا المقترحين مجموعة من السلبيات والتناقضات الفكرية والتطبيقية . فالمقترح الأول الذي يوجه مدخل المرقد باتجاه بحر النجف هو متناقض فكريا إذ ان توجه المدينة القديمة الحقيقي هو باتجاه الكوفة وليس باتجاه بحر النجف حيث تذكر الدراسة ان 70% من الزائرين يدخلون المدينة القديمة من جهة الكوفة متوغلين من خلال السوق الكبير وصولا الى المرقد الشريف .وهنا محاولة واضحة لعزل المرقد الشريف بل والمدينة القديمة بأكملها عن باقي المدينة الحديثة وهذا خطير جدا إذ يؤدي الى موت المدينة القديمة التي تكسب وجودها من تفاعلها مع المدينة ككل .فمن اساسيات الحفاظ على المراكز التاريخية هو إحياء وظيفتها الحضرية من خلال الارتقاء بمستواها واهم بنود الارتقاء هو توظيف المدينة والمباني التاريخية سواء بنفس وظيفتها الأصلية او استحداث وظيفة جديدة لها .اما النقد الموجه الى المقترح الثاني فهو فكري وتطبيقي إذ ان فكرة ازالة السوق الكبير فيها تناقض كبير مع فكرة الخيار الأول حيث الحفاظ على الفعاليات والمباني التاريخية وتوظيفها في إطار حضري معاصر .وان كان توجيه محور الدخول والتوجه نحو المرقد هو صحيح إذ ان محور الكوفة – النجف هو المحور الاساسي لحركة الزائرين كما ذكر سابقا وهو المحور التاريخي الاصيل فالكوفة هي العاصمة الاصلية للخلافة الإسلامية وهي مدينة أمير المؤمنين علي (ع) . وهو المحور الصحيح للدخول الى المرقد الشريف حيث باب إيوان الذهب (المدخل الرئيسي للمرقد من جهة الشرق).ان تطوير التوسعة للمرقد الشريف من اتجاهين رئيسيين أي من جهة السوق الكبير واتجاه مدينة الزائرين فيه مخالفة فكرية لأبسط مبادي التطوير والتصميم المعماري إذ ان المرقد الشريف هو نقطة نهاية المحور البصري والهدف الاساسي لحركة الزائرين لذا اجتياز الهدف (في المقترح الثاني) والتوجه باتجاه بحر النجف هو اهمال واضح لاهمية المرقد الشريف كنقطة الاستقطاب المركزي .ان ملاحظة الكتل الضخمة التي تحيط بالمرقد

وخاصة من شارع الطوسي وشارع الرسول الأعظم والتي تتنافس مع كتلة الضريح والهيمنة البصرية لقبته هو مناقض لطرحهم في عدم تعدي ارتفاع الكتل البنائية لارتفاع السور الخارجي للمرقد الشريف (ان كان هناك رؤية له).

لذا يرى الباحث ان هناك استعجال كبير في وضع المقترحات وانها جاءت متناقضة كليا او جزئيا مع المبادىء التي وضعوها لتصميم وتطوير توسعة الحضرة الحيدرية .وان هناك اهتمام بالشكل دون الغوص في المضمون الفكري وذلك يتضح من خلال اهتمام المصمم بالتفاصيل الزخرفية والعناصر الشكلية التفصيلية دون الالتفات الى الفكر التصميمي المتناسب مع اهمية الموضوع دينيا وبصريا وتخطيطيا .

للانصاف ان الدراسة التي تقدمت بها الشركة للتصميم الاساس للنجف ككل والمدينة القديمة بالخصوص هي دقيقة وواسعة بحيث قامت بدراسة حركة الزائرين سواء للمرقد او لمقبرة وادي السلام الا ان مقترحاتهم حول المدينة القديمة جاءت مخالفة لهذه الدراسة واعتقد ان السبب هو الجوانب الاقتصادية (cost) .وهنا نسجل النقد الى الجهة المستفيدة وليس فقط للجهة المصممة لانها تفضل مقتضيات الاقتصاد في الكلف على الجوانب الاجتماعية والعمرانية للمدينة القديمة .فالحقيقة من المعروف ان التعامل مع المراكز التاريخية تحتاج الى كلف عالية ويجب اعتبارها مشاريع استرتيجية على المستوى القومي والاقليمي وليس مجرد مشاريع تطوير محلية لان لمثل هذه المراكز امتداداتها الاقليمية والقومية.

16-الخلاصة والتوصيات(فكرة تطويرية) :

بالاستناد الى الفكر المطروح في الخيارات الموضوعية لعملية التطوير وبالاعتماد على الافكار الحديثة في مجال سياسات الحفاظ وسياسات التطوير الحضري مثل مفهوم الاحياء بالارتقاء و"مفهوم التحضر الجديد في تطوير المحلات السكنية"(7)(الشكل 20) وتوافقا مع افكار الاستدامة الحضرية ، ومن خلال مواطن القوة والضعف للمركز التاريخي لمدينة النجف القديمة التي ذكرت سابقا . بمكن تطوير مقترح تخطيطي يتبنى الافكار الاتية :

1 -ان مشاكل المدينة القديمة العمرانية هي كثيرة وتحتاج الى حلول تخطيطية دقيقة ومفصلة فعليه فان التدخل الواطئ والمتوسط لا ينفع وانما تحتاج الى تدخل عالي .بالطبع التدخل العالي لا يعني الازالة وانما دراسة كل مفاصل المدينة وتطبيق الحلول الكلية ،وان كان ذلك ينطوي على كلف عالية ومدى زمني طويل نسبيا فانه افضل من القرارات الارتجالية السريعة والترقيعية .

2 -دراسة المحاور البصرية بدقة واتخاذ القرار لكل محور بصري حتى على مستوى الزقاق او الزقاق المغلق النهاية cal-de-sac .

3 -ان تداخل استعمالات الارض mixed use في المراكز التاريخية للمدن هي سمة واقعية بل ان تجمع الاستعمال التجاري حول الجامع او المرقد في المدينة التقليدية هو من سمات النسيج

التقليدي وعليه اي محاولة للفصل بين الاستعمالات هي غير واقعية وتنطوي على سلبيات اقتصادية واجتماعية لسكان المنطقة القديمة أنفسهم .لذا اعتماد مبدأ الاستعمال المختلط في عملية التطوير هو اساسي ومن المبادئ الأساسية لمنهجية فكر التحضر الجديد .

4 –من مواطن القوة للمدينة القديمة ان البيئية العمرانية للنسيج هي معالجة بيئيا بشكل ينسجم مع مبادئ المدينة المستدامة من حيث المعالجات البيئية من خلال التضام في النسيج واعتماد مسافة المشي والفصل بين حركة السابلة والسيارات .لذا فان التاكيد على هذه السمة مهم جدا في عمليات التطوير العمراني للمدينة القديمة.

5 –ان النجف هي مدينة الحوزة العلمية وفيها الكثيرمن المكتبات العلمية والمدارس الدينية وبيوت العلماء والمثقفين والمؤسسات العلمية لإحياء التراث .لذا فينبغي التطوير من خلال إحياء المنشات التي تخدم هذه السمة مع إضافة منشات مصممة جديدة كالمراكز الثقافية والعلمية الحديثة ومؤسسات التقريب والحوار بين الأديان والمذاهب .

6 –تأكيد محور الكوفة–النجف الاشرف وهو محور تفاعل وظيفي (ديني –تاريخي–مكاني) وتوجيه مداخل المدينة القديمة باتجاه الكوفة مع تطوير ساحة الإمام علي (ع) الى فضاء حضري – تجميعي –ستاتيكي (plazza) للزوار ومنه الانتقال الى محاور ديناميكية متمثلة بالسوق الكبير وشارع الصادق وشارع زين العابدين وصولا الى الفضاء الحضري الاساس وهو الصحن الشريف للمرقد المقدس للامام علي (ع).

7 –عزل حركة المشاة عن حركة السيارات وتخصيص حرم ما داخل السور للمشاة حصراً وهو هدفٌ نسعى إليه في مراكز مدننا المقدسة وان أصبح تنفيذه واقعيا في الظروف الامنية الراهنة .

8 –الحفاظ على الوظيفة السكنية للمدينة وكذلك الرصيد السكني وتحسين ظروف البيئة السكنية لأجل الحد من هجرة السكان على نطاق واسع إلى الأحياء الحديثة وهو ما يفقد المدينة جزءاً مهماً من حيويتها وشخصيتها

9 – معالجة التمزق وإملاء الفجوات الحاصلة قي النسيج الحضري وإعادة ارتباط الأجزاء المقطوعة مع بعضها وصولا إلى استعادة الكيان المتحد للمدينة بما يكفل الحفاظ على شخصيتها الحضرية هذا الاملاء ممكن بمباني علمية وثقافية .

10 – ان استيعاب الأعداد الكبيرة للزائرين ممكن من خلال عمليات التنظيم والإدارة للحشود والمواكب وليس من الضروري استيعابهم دفعة واحدة وفي وقت واحد خصوصا ونحن نعلم ان

مراسيم الزيارة هي مكانية وليست زمانية دقيقة مثل مراسيم الحج .

11 – إخراج مدينة الزائرين الى خارج المنطقة القديمة لان عدد الزائرين من الكبر مهما تتشيء من فنادق لا يمكن ان تستوعبهم لذا الأولى إنشاء هذه المنشات في مساحات كبيرة خارج المدينة القديمة وهذا واقعي اذا علمنا ان وزارة البلديات والأشغال العامة حدد مساحات كبيرة لغرض إنشاء مبيت للزائرين في الطريق بين النجف وكربلاء . ان إخراج هذه الفعالية سيوفر مساحة من الارض داخل المدينة القديمة يمكن استغلالها في إنشاء المراكز العلمية والثقافية التي تؤهل المدينة كونها مدينة علمية –دينية بل يؤهلها ان تكون جزء من النجف عاصمة الثقافة الإسلامية 2012.(الشكل 21)

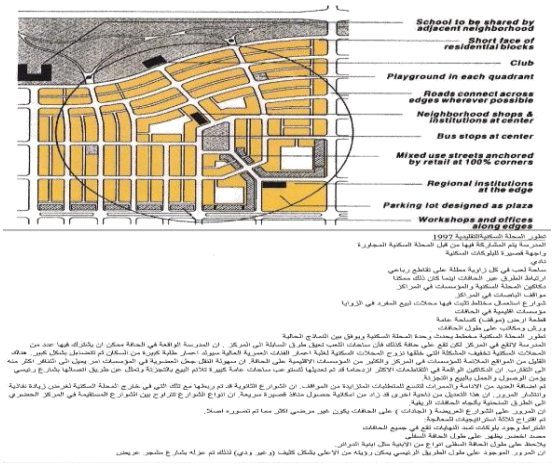

الشكل 20 المحلة السكنية وفق (مفهوم التحضر الجديد1997).(7) دراسة التصميم الاساسي لمدينة النعمانية 2006.

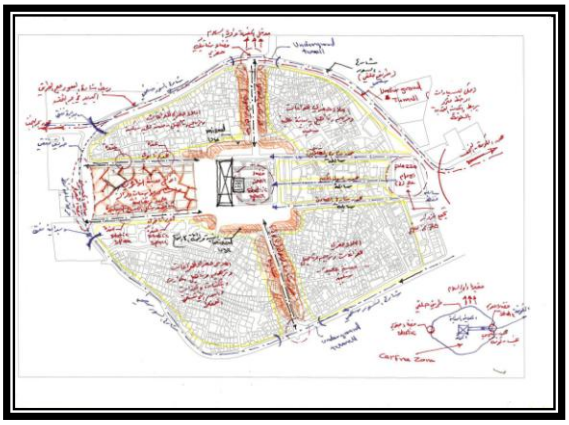

الشكل 21 الفكرة التطويرية ،اعداد الباحثان .

المصادر

1- الدكتور عماد الصالح،السياسات التنظيمية للتعامل مع التراث العمراني . سياسة الارتقاء في مدينة حلب القديمة هدفاً للتنمية الشاملة – جامعة حلب – كلية الهندسة المعمارية.

2- دكتور/ ربيع محمد رفعت أحمد ،مستقبل مركز المدينة العربية التقليدية فى عصر التقدم التقنى ،والمعلوماتى بين الإحياء وإعادة التوظيف،قسم العمارة ، كلية الهندسة ، جامعة أسيوط،جمهورية مصر العربية.

3-د.حيدر كمونة ،سبل الحفاظ والتجديد الحضري لمدينة النجف القديمة، المؤتمر العلمي الرابع،التطور المكاني في العراق في ظل الاتجاهات المعاصرة،2005.

4-الزيارات الميدانية للباحث الى المركز التاريخي لمدينة النجف الاشرف .

5-تقارير دراسة التصميم الاساسي لمدينة النجف الاشرف-وزارة البلديات والأشغال العامة -دائرة التخطيط العمراني ،2009

6-تقارير خاصة من شركة المصمم المعماري العراقي ،2008:

- تقرير إطار عمل تطوير المدينة القديمة.
- تقرير حماية المدينة القديمة .
- تقرير المعايير للمدينة القديمة .
- منشورات جامعة بهشتي 2009.

7-دراسة التصميم الاساسي لمدينة النعمانية،دائرة التخطيط العمراني 2006.

8- مكتب المهندس المعماري عدنان اسود ،تصاميم مدينة الزائرين ،1998.